

بتقوى الرب إلى أولى النعم وأهمها وهي نعمة الخلق ونعمة الرحم التي انتظمت الناس جميعاً والتي نشأت عن خلقهم من نفس واحدة "يأيتها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ" منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله تعالى به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا" وبهذا كان الناس في نظر القرآن على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وتباين أقطارهم أسرة واحدة، للواحد منها حق الأسرة و عليه واجبها فلا تطالم، ولا طغيان، ولا طبقات، ولا استغلال، ولكن محبة، وتآلف، وعدل، ومساواة. وهذا أصل قرره القرآن في غير ما آية، ودعا به الانسانية إلى التصافي، والتعاون، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

و جدير بأهل الحضارة الحديثة، والثقافة البشرية أن يخلعوا أنفسهم مما كبلوها به من أغلال الجحود والنكران والتعصب، برهة من الزمن يتفهموا فيها تلك الحقيقة الواقعية التي يقررها الوحي الالهي، فيثوبوا إلى رشدهم، ويريحوا أنفسهم من عناء التكتل الجنسي، أو الاقليمي، أو الديني، استعداد لهذه المجازر البشرية التي يسقون فيها الأرض بدماء أرحامهم واخوانهم في الانسانية التي كرمها الله وفضلها على كثير من خلقه.

هذا وتشير السورة الأخرى وهي سورة الحج بعد نداء الناس جميعا، وأمرهم بالتقوى، إلى هول يوم القيامة، يوم البعث والجزاء على الأعمال، استنهاضاً للهمم نحو عمل الخير ومكافحة الشر، وتجعل ذلك تمهيدا لاقامة الحجة على أن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، كما تجعل سورة النساء المبدأ الذي قرره تمهيدا يوحى إلى الناس ببدء بالتزام الأحكام التي شرعها الله بعد لينظموها بها أحوالهم، ويقيموا عليها شئونهم وحياتهم. "يأيتها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد".